نحو فهم مُيسّر لمادة علم المعاني والبراغماتك

Prepared by: Abu Bakr

المحاضرة الثامنة

تتطرق هذه المحاضرة إلى سؤال دائماً ما يطرح وهو عما إذا كان لدينا كلمة ذات معنى مثل (ذكر) ، فما هو مدى تواجد هذا المعنى نفسه في عدد من اللغات؟

تعددت طبعاً آراء المتخصصين في علم اللغات في موضوع عالمية المعنى ، وانقسموا إلى طرفيّ نقيض هما:

1- نظرية Sapir-whorf:

تفترض هذه النظرية أن كل لغة تخلق عالمها الخاص من حيث المعاني.

2- نظرية تفترض عالمية المعاني:

تفترض هذه النظرية أن مكونات معنى معين مثل (ذكر) و(أنثى) توجد في كافة اللغات ، بل وهنالك الكثير من هذه المعاني المعالمية مثل الألوان الأساسية ، فجميع اللغات بها الأصفر والأزرق والأحمر.

نظريات او آراء تقع بين هاتين الفرضيتين:

إن أبسط تصور لموضوع عالمية المعنى يفترض وجود قائمة بالمعاني الموجودة في كل اللغات ، وبناء على هذا التصورفإن هنالك ثلاثة ادعاءات تسعى إلى توضيح العلاقة التي تربط بين كل معنى موجود في هذه القائمة مع المعنى الموجود حقيقة في كل لغة.

1- الادعاء الأقوى :

يقول هذا الادعاء أن كل اللغات بها نفس المعاني الواردة في القائمة العالمية للمعاني وبنفس الخصائص والاستخدام.

إن هذا الإدعاء غير قابل للتصديق خاصة عندما نرى أن هنالك اختلافات واضحة بين لغة وأخرى.

2- الإدعاء المتوسط القوة:

يرى هذا الادعاء أن كل لغة تستخدم بعض الخصائص الموجودة في القائمة العالمية فقط.

هذا الادعاء قابل للتصديق ، فكل اللغات يوجد بها معنى (ذكر) ، (أنثى) ، فيما نجد معانٍ في لغات ولا نجدها في لغات أخرى.

3- الادعاء الأضعف:

هذا الادعاء يرى أن هنالك فقط بعض المعاني لها خاصية العالمية بينما البقية هي معانٍ خاصة باللغة التي تتبعها ، بل ويرى هذا الادعاء أنه حتى المعاني القليلة التي لها خاصية العالمية تكاد لا تكون متشابهة تماماً بين اللغات ،ولعل أقرب مثال على هذه الحالة هو المعنى المرتبط بالألوان وتصنيفاتها.

إننا لو قبلنا بهذا الادعاء سنواجه سؤالاً مؤداه ما هو التفسير لهذه الظاهرة؟

هنالك خمس إجابات على هذا التساؤل:

1- إجابة تقول أن الأشياء المحسوسة موجودة في كل المجتمعات وبالتالي معانيها ستكون في كل اللغات. (حقيقة طبيعية)

2- إجابة تقول أن تركيب الأدمغة البشرية أساساً متشابه . (حقيقة نفسية)

3- إجابة تقول أن هنالك احتياجات ثقافية مشتركة بين مختلف المجتمعات . (حقيقة ثقافية)

4- إجابة تفترض أن هناك تواصل حدث بين مختلف المجتمعات ومختلف اللغات.

5- إجابة تفترض أن كل اللغات في هذا العالم خرجت من أصل واحد.

مناقشة هذه الإجابات:

- فيما يتعلق بالإجابة الأولى، لا نستطيع أن نُغفِل العامل الثقافي المميز لكل مجتمع وتأثيره في اختيار المعنى المناسب لشيء ما ، فلدى قبائل الباوني (هنود حمر) نجد أنهم يطلقون كلمة (أب father) على كل الذكور من جهة الأب ، بينما يطلقون كلمة (خال / عم uncle) على كل الذكور من جهة الأم.

• فيما يتعلق بالإجابة الثانية فإننا نجد صعوبة في التمييز بين الحقيقة الطبيعية والحقيقة النفسية ، ففي حالة الألوان مثلا هنالك ثلاثة عوامل توضع في الاعتبار عند اختيار معانيها:

الأول: هنالك بعض الخصائص الطبيعية التي لها دورها في تسمية اللون ، فهنالك الخضرة الخاصة بالنباتات الحية، والحمرة الخاصة بالدم ، والزرقة الخاصة بالسماء. نلاحظ هنا أننا وصفنا الألوان من خلال ربطها بحقائق مادية ولم نعتمد على الحقيقة النفسية.

الثاني: من الممكن أن يكون هنالك اعتماد على الحقيقة النفسية في تمييز الألوان في حالة تصورها في الدماغ.

الثالث: الاعتبارات الثقافية لها دورها الهام في التفرقة بين الألوان ، فعلى سبيل المثال في قبائل النافاهو فإن الألوان الأساسية الأسود والأبيض والأحمر والأصفر ترتبط تسميتها بالأشياء والألوان المستخدمة في احتفالاتهم.

• فيما يتعلق بالاجابة القائمة على فكرة أن تواصلا حدث بين المجتمعات ، يمكن القول أن بعض المعاني العالمية يمكن أن تكون مجرد عارض طارىء في تاريخ اللغة ، فمثلاً في اللغة المستخدمة في مقاطعة ويلز، نجد أن تسميات الألوان أصبحت متشابهة حالياً مع تسمياتها باللغة الانجليزية بسبب الاستخدام الثنائي والمتداخل للّغتين.

• فيما يتعلق بالإجابة الأخيرة المتضمنة أن اللغات نبعت من أصل واحد ، فيمكن القول أننا لا يمكننا أن نكون متأكدين تماما من العلاقة التاريخية بين اللغات التي نختبرها. صحيح أننا نعرف أن اللغات تنتمي إلى عائلات، إلا أننا لا نستطيع الرجوع بتاريخ هذه العائلات إلا إلى بضعة آلاف من السنين.

بالرغم أنه من الممكن أن تكون جميع اللغات الموجودة حالياً قد نبعت من أصل واحد ، إلا أنه على الأقل هنالك بعض المعاني قد تكون طارئة وليست نابعة من توحد الأصل للغات. إن تطور لغاتنا من الممكن أن يكون قد حدث بوسائل مختلفة بل ومن أصول مختلفة أيضاً.